

قول عمر بن عبد العزيز في هذا الباب

..... نقل -أيضا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين من بني أمية كلاما معناه: قف حيث وقف القوم. ينهي عن التكلف، وينهي عن التدخل في الأمور الغيبية بالظن. القوم: يريد به الصحابة، والتابعون لهم؛ فإنهم عن علم وقفوا -أي ما تكلفوا في تعلم الأمور الغيبية؛ بل توقفوا عند الحد الذي وصلت إليه أذهانهم، فإنهم عن علم وقفوا -أي ما وقفوا عن التأويل والتحريف؛ إلا لأجل علم، عندهم علم شرعي، وعلم نبوي حملهم على التوقف، وعدم التدخل في الأمور الغيبية؛ لمجرد الظن. وإنهم يبصر نافذ كفووا، رزقهم الله بصيرة نافذة -يعني بصيرة وعلما، فكفوا عن التدخل في الأمور الغيبية، وعن التدخل فيما لا أهمية له، وفي علم الكلام الذي لا يستفاد منه. وهم على كشفها كانوا أقوى، يعني: يقدرون أن يكشفوا هذه الأمور التي تكلم بها هؤلاء المتأخرون بعدهم، يعني: مثل تكلم المتأخرين في الجواهر، في الجوهر، وفي العرض، وفي الأبعاد، والأعراض، وما أشبه ذلك، فإن هؤلاء تدخلوا فيما لا يهمهم، تدخلوا في علوم ليسوا مكلفين بها. السلف يقدرون على أن يتدخلوا فيها، فيقدرون على كشفها، هم على كشفها كانوا أقوى. وبالفضل لو كان فيها أخرى: لو كان فيها فضل في الكلام في العرض وفي الجوهر وفي الجهة وفي الحيز وما أشبه ذلك؛ لو كان فيها فضل؛ لكانوا يبحثون فيها، فهم أحرص على الخير. فإذا قلت: حدثت هذه العلوم بعدهم، يعني: علم الجواهر، وما أشبهها حدثت بعدهم، فلم يتكلموا فيها. فيقول: من الذي أحدثها؟ ما أحدثها إلا أناس خالفوا هديهم، يعني: هدي أولئك الصحابة والتابعين، ورغبوا عن سنتهم، وتدخلوا فيما لا يعينهم. ثم ذكر أن السلف رحمهم الله الصحابة والتابعين وصفوا منها ما يشفي، وتكلموا منها بما يكفي: وصفوا من هذه الأمور ما يشفي -يعني ما يكون شفاء لمن يريد الحق والصواب. وتكلموا منها بما يكفي، فنقتصر على كلام الصحابة والتابعين. فذكر أن الذين فوقهم تحسروا، والذين دونهم قصروا: قصر قوم عنهم، وأعرضوا عن الرواية للصفات ونحوها، وقالوا: لا تتدخل فيها، ولا نروها، فقصروا؛ وذلك لأنهم إذا توقفوا عن تعلم أسماء الله تعالى وصفاته؛ فإنهم يقصرون؛ بحيث أنهم لا ييقنون معترفين لله تعالى بصفة، ولا يستحضرون عظمة الله، وهم يسبحون الله بقولهم: سبحان ربي العظيم. ولا يستحضرون علو الله بكل أنواعه، وهم يقولون: سبحان ربي الأعلى. فهؤلاء قصروا؛ حيث لم يتعرضوا، ولم يتكلموا في شيء مما يستحقه الرب تعالى من الصفات، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وهم الذين تدخلوا في الأمور الغيبية، وأخذوا يبحثون عن كيفية النزول، وعن كيفية الاستواء، وما أشبه ذلك. وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم: فيما بين الذين قصروا، والذين غلوا، توسطوا في ذلك، وخير الأمور أوسطها، وأهل السنة وسط بين المشبهة وبين المعطلة.